جامعة القاهرة
كلية الآثار
قسم الآثار الإسلامية

عمارة المساجد بمدينة فاس بالمغرب الأقصى في عصر بني مرين 668 – 869هـ / 1269 – 1464م :
دراسة آثارية معمارية فنية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية

إعداد الطالب : رامي ربيع عبد الجواد راشد
مدرس مساعد بكلية الآثار جامعة الفيوم

إشـراف :

أ.د. آمال أحمد العمري
أستاذة الآثار الإسلامية بكلية الآثار
جامعة القاهرة " مشرفا "

أ.د. علي أحمد الطايش
أستاذ الآثار الإسلامية بكلية الآثار
جامعة القاهرة " مشرفا مشاركا "

1438هـ / 2016م

المجلد (I)

كلية الآثار

الدراسات العليا

الإجازة

أجازت لجنة المناقشة هذه الرسالة للحصول على

درجة الدكتوراه في الآثار من قسم الآثار الإسلامية

بمرتبة « الشرف الأولى مع التوصية بطباعة الرسالة على نفقة الجامعة » .

بتاريخ ٢٠١٦/٩/٢٢ م

بعد استيفاء جميع المتطلبات

اللجنة

الاسم	الدرجة العلمية	التوقيع
١- أ.د/ آمال أحمد العمري	أستاذ	
٢- أ.د/ علي أحمد الطايش	أستاذ	
٣- أ.د/ كمال عناني إسماعيل	أستاذ	
٤- أ.م.د/ محمد السيد أبو رحاب	أستاذ مساعد	

ملخص :

مدينة فاس هي الحاضرة الأم ، التي اتخذها حكام بني مرين لتكون مقر دولتهم ، خلافا لمن سبقهم من المرابطين والموحدين ، الذين اتخذوا من مدينة مراكش حاضرة لهم ، ولهذا فقد حظيت باهتمامهم في مجال البناء والتعمير ، وليس أدل على ذلك من تأسيسهم لمدينة ملكية جديدة ، في مقابلة المدينة الأم ، لتكون قاعدة الحكم والملك طوال ذلك العصر ، ألا وهي : فاس الجديد .

تأتي أهمية هذه الدراسة لتوضيح مدى التفاعل بين عنصري الزمان والمكان من خلال المساجد والجوامع التي شيدوها بكل من المدينتين ، فاس القديم ، فاس الجديد ، وإلقاء مزيد من الضوء على خصائصها المعمارية والفنية ، وهل كانت هناك موروثات حافظت عليها تلك المساجد ؟ وأيضا هل اتسمت بخصائص جديدة عما سبقها ، وأخيرا ، هل تركت بصماتها في عمارة وفنون مساجد العصور التالية عليها .

من ناحية أخرى ، لكون مدينة فاس حاضرة ملك بني مرين ، فقد كانت محط رحال المهاجرين الأندلسيين ، الذين خرجوا من ديارهم طوعا وكرها ، بعد تزايد حركة الاسترداد الصليبية بأرض الأندلس ، وفروا إلى بر العدوة . ليس هذا وحسب ، بل كانت كذلك محل قرار العديد من أفراد الحكم النصري بغرناطة ، وبهذا يتضح مدى ذلك الحضور القوي للعنصر الأندلسي بتلك الحاضرة ، فهل كان لذلك الحضور أثره على المناحي الحضارية بحاضرة فاس خلال ذلك العصر المريني ، والتي من أهمها الجانب المعماري وفنونه ؟ وإذا ما ثبت ذلك ، فما هو مدى نشاط أو خمول ذلك الأثر الأندلسي في ضوء المساجد قيد الدراسة ؟

1 – مسجد .

2 – جامع .

3 – مدينة فاس .

4 – بني مرين .

5 – التخطيط المعماري .

6 – الطراز التقليدي .

7 – الطراز الأندلسي المغربي .

8 – طراز الحمراء .

9 – التأثيرات الفنية .

10 – الوحدة الفنية .

شكر وتقدير

أتوجه بخالص شكري وامتناني ، لأستاذتي ومعلمتي ، العالمة الجليلة ، الأستاذة الدكتورة : آمال أحمد العمري ، لما أسدته من نصائح وتوجيهات ، ولما نلته من رعاية واهتمام ، طوال مدة هذه الدراسة ، أطال الله في عمرها على كل خير ، وأبقاها علما رائدا لكل متعلم في مجال الآثار الإسلامية .

أتوجه أيضا بخالص شكري وتقديري ، لأستاذي ووالدي الكريم ، العالم الجليل ، الأستاذ الدكتور : علي أحمد الطايش ، لما بذله من توجيه وإرشاد ، ولما نلته من رعاية واهتمام ، طوال مدة هذه الدراسة ، أطال الله في عمره على كل خير ، وأبقاه علما رائدا لكل متعلم في مجال الآثار الإسلامية .

أخيرا ، أتوجه بخالص شكري وامتناني ، لأستاذي الفاضل ، العالم الجليل ، الأستاذ الدكتور : الحاج موسى عوني ، لما أسداه من رعاية واهتمام ، ونصح وإرشاد ، طوال مدة الدراسة بالمغرب ، أطال الله في عمره على كل خير ، وأبقاه علما رائدا في مجال الآثار الإسلامية بالمغرب والأندلس .

فهرس المحتويات

	الموضـوع	رقم الصفحة
مقدمة .		ب – ل
تمهيد .		2 – 41
الباب الأول	دراسة وصفية لمساجد مدينة فاس خلال العصر المريني .	42 - 355
الفصل الأول	مساجد فاس البالي .	43 - 191
(1)	مسجد مدين (675 – 709ه / 1276 – 1309م) .	45 – 50
(2)	مسجد البستيونية (725هـ / 1324م) .	52 - 62
(3)	مسجد سيدي خليل (725ه / 1324م) .	64 – 68
(4)	مسجد أبي الحسن (742هـ / 1341م) .	70 - 90
(5)	جامع الشرابليين (731 – 752هـ / 1330 – 1351م) .	92 – 121
(6)	جامع المدرسة البوعنانية (751 – 756هـ / 1350 – 1355م).	123 - 191
الفصل الثاني	مساجد فاس الجديد .	192 - 355
(1)	الجامع الأعظم (677ه / 1278م) .	194 - 262
(2)	مسجد البيضاء (679هـ / 1280م) .	264 - 274
(3)	جامع الحمراء (752 – 755ه / 1351 – 1354م) .	276 - 313
(4)	مسجد الزهر (759ه / 1357م) .	315 - 332
(5)	مسجد العباسيين (760 – 810هـ / 1358 – 1408م) .	334 - 340
(6)	مسجد للا غريبة (800 – 810هـ / 1398 – 1408م) .	342 - 355
الباب الثاني	دراسة تحليلية لمساجد مدينة فاس خلال العصر المريني .	356 - 625
الفصل الأول	الدراسة التحليلية المعمارية .	357 - 478
	توطئة .	358 - 359
(1)	تخطيط المسجد .	359 - 388
(1-1)	تخطيط المساجد الجامعة .	359 - 383
(2-1)	تخطيط مساجد الحومات .	383 - 388
(2)	ملاحق المسجد .	388 - 422
(1-2)	الصومعة .	388 - 408
(2-2)	بيت المنبر .	408 - 409
(3-2)	بيت الإمام .	409
(4-2)	بيت الموقت .	410 - 411
(5-2)	مصلى الجنائز .	411 - 412
(6-2)	السقاية .	412 - 413
(7-2)	المسيد .	414 - 415
(8-2)	خزانة الكتب .	415 - 417
(9-2)	مجلس الأسبوع .	418 - 419
(10-2)	دار الوضوء .	419 - 422

(3)	عناصر المسجد .	478 - 423
(1-3)	مواد البناء .	440 - 423
(1-1-3)	التراب .	432 - 423
(1-1-1-3)	الطابية .	424 - 423
(2-1-1-3)	الآجر .	425 - 424
(3-1-1-3)	الزليج .	431 - 426
(4-1-1-3)	القرميد .	432 - 431
(2-1-3)	الحجارة .	433 - 432
(3-1-3)	الرخام .	434 - 433
(4-1-3)	الجص .	437 - 434
(5-1-3)	الأخشاب .	440 - 437
(6-1-3)	المعادن .	440
(2-3)	الروافع .	451 - 440
(1-2-3)	الدعامات .	441 - 440
(2-2-3)	الأعمدة .	446 - 441
(3-2-3)	العقود .	451 - 446
(3-3)	أساليب التغطية .	465 - 452
(1-3-3)	الأسقف الجمالونية .	454 - 452
(2-3-3)	القباب .	465 - 455
(4-3)	المحراب .	475 - 465
(5-3)	محراب الصيف .	476 - 475
(6-3)	المداخل .	478 - 476
الفصل الثاني	الدراسة التحليلية الفنية .	625 - 479
	توطئة .	489 - 480
(1)	العناصر الزخرفية الهندسية .	517 - 490
(1-1)	حبات اللؤلؤ .	491 - 490
(2-1)	الميداليات .	492 - 491
(3-1)	المعقوف .	494 - 493
(4-1)	الضفائر .	495 - 494
(5-1)	الشغل بان .	495
(6-1)	زخرفة على شكل حرف (Y) اللاتيني .	496 - 495
(7-1)	الأشكال النجمية .	498 - 496
(8-1)	الأطباق النجمية .	501 - 498
(9-1)	الشبكة المعينية .	503 - 501
(10-1)	رأس الحية (المحنش) .	504 - 503
(11-1)	الزخرفة الثعبانية .	505 - 504
(12-1)	الزخرفة المحارية .	508 - 506
(13-1)	العقود .	511 - 509
(14-1)	الشرافات .	514 - 511
(15-1)	المقرنصات .	516 - 514
(16-1)	القباب .	516
(17-1)	العامر والخاوي .	517 - 516

(2)	العناصر الزخرفية النباتية .	543 - 517
(1-2)	التوريقات النباتية .	528 - 517
(1-1-2)	التوريقات الملساء .	521 - 518
(2-1-2)	التوريقات المعرقة .	524 - 521
(3-1-2)	التوريقات المصبعة .	525 - 524
(4-1-2)	التوريقات المزهرة .	527 - 525
(5-1-2)	التوريقات المسننة .	528 - 527
(2-2)	شجرة الحياة .	530 - 528
(3-2)	الأكنتس .	532 - 530
(4-2)	الصنوبريات .	534 - 532
(5-2)	الورقة الكأسية .	537 - 534
(6-2)	الوريدات الطبيعية .	542 - 537
(3)	النقوش الكتابية .	606 - 543
	توطئة .	546 - 543
(1-3)	الكتابات من حيث الشكل .	563 - 546
(1-1-3)	الخط الكوفي .	559 - 546
(1-1-1-3)	الخط الكوفي المربع .	548 - 547
(2-1-1-3)	الخط الكوفي ذو النهايات المائلة .	549 - 548
(3-1-1-3)	الخط الكوفي ذو النهايات المورقة .	551 - 549
(4-1-1-3)	الخط الكوفي المضفر .	552 - 551
(5-1-1-3)	الخط الكوفي المعماري .	554 - 552
(6-1-1-3)	الخط الكوفي المضفر- المعماري .	555 - 554
(7-1-1-3)	الخط الكوفي المرآتي .	558 - 555
(2-1-3)	الخط اللين .	563 - 559
(2-3)	الكتابات من حيث المضمون .	606 - 563
(1-2-3)	الكتابات الدينية .	589 - 563
(1-1-2-3)	الآيات القرءانية .	573 - 564
(2-1-2-3)	الأذكار والأدعية .	587 - 573
(3-1-2-3)	الأبيات الشعرية .	589 - 588
(2-2-3)	الكتابات التاريخية .	614 - 589
(1-2-2-3)	الكتابات التسجيلية .	592 - 589
(2-2-2-3)	الكتابات الوقفية .	594 - 592
(3-2-2-3)	الألقاب .	604 - 594
(4-2-2-3)	العبارات الدعائية السلطانية .	606 - 604
(4)	الأثاث الديني .	625 - 606
(1-4)	المنبر .	610 - 606
(2-4)	المقصورة .	613 - 610
(3-4)	العنزة .	617 - 613
(4-4)	الثريا .	625 - 617
الخاتمة .		634 - 627
ثبت المراجع.		673 - 636

مقدمة

الحمد لله المبدئ المعيد ، المنشئ المبيد ، الفعال لما يريد ، الذي جرت أحكامه بمشيئته السابقة في جميع العبيد ، من إعزاز وإذلال ، وإدبار وإقبال ، وإكثار وإقلال ، وهداية وضلال ، كل ميسر لما خلق له ، وجار على ما كتب له ، سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . نحمده سبحانه وتعالى على كل حال ، ونشكره على جميع نعمه التي لا تحصى شكرا كثيرا دائما لا ينقطع بانقطاع الأيام والليال ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، المنفرد بالعزة والجلال ، ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله خاتم الأنبياء والأرسال ، صل الله عليه وعلى ما له من الصحب والآل ، صلاة دائمة لا نفاد لها ولا زوال [1] ، أما بعد :

أهمية الموضوع :

استكمالا لما كنت بدأته بمرحلة الماجستير ، في مجال آثار بلاد المغرب والأندلس ، أواصل من جديد السعي قدما في هذا التخصص المهم ، والذي هو بمثابة الجناح الثاني لحضارتنا الإسلامية ، المكمل لجناحها الأول ببلاد المشرق ، فكما لا يمكن للطائر أن يعلوَ في الهواء بجناح واحد ، فهكذا أيضا لا يمكن لحضارتنا الإسلامية أن تقوم ويرتقي شأنها ، إلا بدراستها ، والتعمق في دقائقها ، وعجائب أسرارها ، والدفاع عنها أمام الهجمات الاستشراقية الصليبية الشرسة – التي ما فتئت تدس السم في العسل لهد أصول حضارتنا وفروعها – بكل من جناحيها في المشرق والمغرب على السواء ، فكلاهما متلازمان ، يحمل كل منهما الآخر ، ولكل منهما فضل على الآخر ، ومن هنا تأتي أهمية مثل هذه الدراسات المتخصصة في مجال آثار وحضارة بلاد الغرب الإسلامي ، والذي لا زلنا نلمس فيه قلة الأقلام العربية المنفحة ، التي لا تقبل كل غث وثمين يصادفها ، في حين أن الدراسات الاستشراقية بلغاتها المتعددة على أشدها ، وقد تحالفت كافة على هدف واحد ، هو هدم هذه الحضارة التي جاء بها الإسلام ، ودين محمد عليه الصلاة والسلام .

أسباب اختيار الموضوع ، وأهم الإشكاليات المطروحة :

يرجع اختيار موضوع هذه الدراسة ، الذي هو عن عمارة مساجد مدينة فاس خلال العصر المريني (668 – 869هـ / 1269 – 1464م) ، لأسباب عدة ، يأتي على رأسها عدم توفر دراسة أكاديمية متخصصة معمقة ، وباللغة العربية حول هذا الموضوع ، فالدراسات التي همت الموضوع من قريب أو بعيد – الآتي ذكرها بعد قليل – باللغة الفرنسية ، كما أنها في الوقت ذاته لم تف الموضوع حقه رغم شدة أهميته ، إذ أغفل بعضها عددا مهما من هذه المساجد قيد الدراسة ، رغم شهرتها وأهميتها من الناحيتين المعمارية والفنية ، كما اتسم بعضها الآخر بالشمولية والنظرة العامة حول الموضوع ، دون التعمق في تحليل دقائقه المعمارية والفنية ، ومحاولة تفسير ظواهرها

(1) – بهذه الديباجة افتتح صاحب (نبذة العصر) كتابه . مؤلف مجهول : نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر . ضبطه وعلق عليه : أ. الفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 1423هـ / 2002م ، صـ1 .

ومظاهرها ، بما جعلها في كل من الحالين محل قصور ونقد ، وهو على خلاف دراستي له ، التي ركزت على رصد تلك المساجد ، والتأكد من صحة نسبتها لذلك العصر المريني ، وأيضا بالتعمق الكلي في دراستها بكل من الجانبين الوصفي والتحليلي .

من ناحية أخرى ، كانت مدينة فاس الحاضرة الأم ، التي اتخذها حكام بني مرين لتكون مقر ملكهم وسلطانهم ، خلافا لمن سبقهم من حكام المرابطين والموحدين ، الذين اتخذوا من مراكش حاضرة لهم ، وبهذا يتضح الترابط الوثيق بين عاملي الزمان والمكان بموضوع الدراسة ، فالزمان هو العصر المريني ، والمكان هو مدينة فاس ، ولا شك أن دراسة مآثرهم بحاضرتهم ، سيعكس مدى التفاعل بين هذا الزمان وذلك المكان ، قوة وضعفا ، ومدا وجذرا ، إذا ما وضعنا في الاعتبار – حسب ما يأتي ذكره فيما بعد – تلك المدينة الملكية المحدثة ، فاس الجديد ، التي أسسها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ، بالجهة المقابلة للمدينة العتيقة ، لتكون كرسي الحكم ، وحاضرة الملك لهؤلاء الحكام المرينيين .

أيضا لكون مدينة فاس حاضرة ملك بني مرين ، فقد كانت محط رحال المهاجرين الأندلسيين ، الذين خرجوا من ديارهم طوعا وكرها ، بعد تزايد حركة الاسترداد الصليبية بأرض الأندلس ، وفروا إلى بر العدوة . ليس هذا وحسب ، بل كانت كذلك محل قرار العديد من أفراد الحكم النصري بغرناطة ، وبهذا يتضح مدى ذلك الحضور القوي للعنصر الأندلسي بتلك الحاضرة ، فهل كان لذلك الحضور أثره على المناحي الحضارية بحاضرة فاس ، خلال ذلك العصر المريني ، والتي من أهمها الجانب المعماري وفنونه ؟ وإذا ما ثبت ذلك ، فما هو مدى نشاط أو خمول ذلك الأثر الأندلسي في ضوء المساجد قيد الدراسة ؟

أخيرا ، فإن أهمية الموضوع تكمن في كون المساجد قيد الدراسة ، كانت لا تزال بحاجة كبرى إلى دراستها ، وإلقاء مزيد من الضوء على خصائصها ، وسماتها المعمارية والفنية ، وهل كانت هناك موروثات حافظت عليها ؟ وأيضا هل اتسمت بخصائص جديدة تميزت بها عما سبقها ؟ وفي النهاية هل كان لها أثر في عمارة وفنون مساجد العصور التالية عليها ؟

الدراسات السابقة :

كما سبق الذكر آنفا ، فإن هناك بعض الدراسات السابقة حول موضوع الدراسة ، الأولى ممثلة في دراسة السيد : ماسلوف ، عن : (مساجد فاس وشمال المغرب) [1] ، وهي تعد من بين أقدم الدراسات حول مآثر مدينة فاس . تتسم هذه الدراسة – لكون صاحبها كان مهندسا معماريا – بالعرض الوصفي المقتضب في غالب الأحوال ، مع خلوها من دراسة هذه الجوانب المعمارية – والفنية كذلك – دراسة تحليلية آثارية معمقة ، والربط بينها وبين غيرها من مآثر العصر قيد الدراسة ، أو السابقة واللاحقة عليه ، وبهذا تبقى الدراسة جافة – إن جاز التعبير –

(1) - Boris Maslow : Les Mosquées de Fès et du nord du Maroc . Paris , 1934 .

لخلوها من هذه السمة ، التي تعد الأهم في دراسة هذه المآثر ، ورغم هذا الإخفاق الشديد في هذه الدراسة ، إلا أن صاحبها زودها بالعديد من القطاعات الرأسية الجيدة ، حول هذه المساجد وصوامعها ، اعتمدت أغلبها في هذه الدراسة ، أما المساقط الأفقية التي وضعها لتلك المساجد ، فلم يخل بعضها من بعض الهنات ، التي سيأتي التنبيه عليها في مواضعها .

الدراسة الثانية فهي لأحد الباحثين المغاربة ، وهو الأستاذ الدكتور : عبد العزيز توري ، الذي شغل سابقا منصب الكاتب العام بوزارة الثقافة [1] ، عن : (مصليات حومات فاس) [2] ، تعرض فيها الباحث للحديث عن عشرون مسجدا من المساجد المعروفة بـ (مساجد الحومات) ، بمدينة فاس الإدريسية (العتيقة) ، بكل من عدوتيها القرويين والأندلسيين ، وبذلك يتبين أن هذه الدراسة خلت من الحديث عن المساجد الجامعة على وجه العموم ، لكونها انحسرت في المدينة العتيقة (فاس البالي) ، دون فاسا الجديد ، التي أسسها المرينيون ، وبها شيدوا مساجدهم الكبرى الجامعة ، إلى جانب مساجد الحومات ، وهو ما سأتعرض له خلال هذه الدراسة ، وفضلا عن ذلك ، لم يتعرض الباحث لهذا النوع من المساجد (مساجد الحومات) بالمدينة العتيقة ، مؤكدة النسبة لهذا العصر المريني قيد الدراسة ، كمسجدي أبي الحسن ، والشرابليين ، وإنما وقع الاختيار على عدة نماذج متناثرة المواقع داخل حومات المدينة ، دون البت في تأريخها بصورة دقيقة ، وهنا أتساءل : كيف يمكن الخروج بنتائج واضحة المعالم حول هذا النوع من المساجد ، سواء من الناحية المعمارية أو الفنية ، مع كوننا نجهل تاريخ بنائها ، وإلى أي عصر ترجع ؟

منهج الدراسة :

هاتان الدراستان ، هما ما أمكن الوقوف عليه فيما يتعلق بمساجد مدينة فاس خلال العصر المريني [3] ، واللتان لا تخلوان – كما سبق توضيحه – من نقص وقصور ، حاولت تداركه في هذه الدراسة ، والتي اعتمدت فيها على كل من المناهج الآتية :

---

(1) – كنت تواصلت معه في تلك الفترة أثناء بدء إعدادي لموضوع أطروحة الماجستير ، عام 1430هـ / 2007م .

(2) – Abd elaziz Touri : Les Oratoires de Quartier de Fès : Essai d´ une Typologie . Thése de Doctorat , Sous La Direction de Madame le Professeur : J-Sourdel-Thomine , Universite de Paris-Sorbonne , Paris. IV , 1986 .

(3) – خصص الباحث عثمان إسماعيل ، مساجد المغرب خلال العصر المريني ، والتي من بينها مساجد مدينة فاس ، بحيز ضئيل ضمن الجزء الرابع من مؤلفه حول : (تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى) ، كما أنه لم يأت – فيما يتعلق بمساجد مدينة فاس – بأي جديد ، بل هي كلها نقول شديدة الاقتضاب عن دراسة ماسلوف – إلى جانب دراسة مارسى – المشار إليها أعلاه ، بل إنه وقع في نفس الأخطاء التي وقع فيها ماسلوف ، والتي سيأتي التنبيه عليها في مواضعها فيما بعد ، هذا بالإضافة إلى العديد من الأخطاء الأخرى التي وقع هو فيها ، والتي تؤكد عدم قيامه بدراسة ميدانية لتلك المآثر خلافا لما يذكره . أما السيد : مارسى ، فقد تعرض ضمن دراسته الشاملة حول : (العمارة الإسلامية الغربية) ، للحديث عن كل من الجامع الأعظم ، وجامع الحمراء ، وكلاهما من فاس الجديد ، بصورة عارضة ، تقارب صفحة واحدة للجامع الأول ، ونصف صفحة للجامع الثاني ، بما لا يمكن معه الاعتداد بها ، كدراسة متخصصة حول الموضوع قيد الدراسة . إلى جانب هذا ، فهناك دراستان للباحث محمد السيد أبو رحاب ، الأولى بعنوان : (ملامح تخطيط العمائر الدينية المرينية بالمغرب الأقصى ومدينة تلمسان بالمغرب الأوسط : دراسة آثارية مقارنة) ، والثانية بعنوان : (تصميم العمائر الدينية الحفصية والزيانية والمرينية ببلاد المغرب : دراسة آثارية مقارنة) ، وكما هو واضح من عنوان الدراستين ، فكلاهما

المنهج الاستقرائي : ممثلا في استقراء المادة المعرفية ، المصدرية والمرجعية حول الموضوع ، وتوظيفها لخدمة الدراسة ، ويدخل في هذا ، اعتماد الرواية الشفهية ، التي كان لابد منها في بعض الأحيان ، في ظل غياب المادة المصدرية أو المرجعية .

المنهج التطبيقي : إلى جانب هذا المنهج الاستقرائي كان لابد من المنهج التطبيقي ، ممثلا في الدراسة الميدانية للمآثر قيد الدراسة ، بالتقاط الصور الفوتوغرافية الخاصة بها ، عديد من المرات مع اختلاف أوقات النهار ، وكذلك مع اختلاف الأيام والفصول السنوية ، رغبة في الوصول إلى أفضل اللقطات ، مع القيام بالرفع المعماري لهذه المساجد ، فضلا عن التوصيف الشامل لها في عين المكان .

المنهج التحليلي : لا يمكن لدراسة أن تنتج ثمارها دون الاعتماد بشكل رئيسي على المنهج التحليلي ، لمعطيات كل من المنهجين الاستقرائي والتطبيقي ، وهو ما حاولت التركيز عليه بدرجة كبيرة ، قصد الوصول إلى نتائج واضحة المعالم ، لكل من الجانبين المعماري والفني ، إضافة إلى الجانب التاريخي الحضاري ، وفضلا عن هذا ، فقد اتجهت بشكل رئيسي إلى الدراسة النقدية للعديد من الآراء والنظريات الاستشراقية ، حول العمارة الإسلامية بصفة عامة ، وعمارة الغرب الإسلامي بصفة خاصة ، محاولا في ذلك بيان عوار هذه النظريات المتحاملة – عمدا – على حضارتنا الإسلامية .

خطة البحث :

تم توظيف هذه المناهج الثلاثة لخدمة الدراسة ، وفق الخطة الموضوعة لها على النحو الآتي :

يتعلق بالحديث عن تخطيط وتصميم تلك العمائر المذكورة ببلاد المغرب بصفة عامة ، وليست خاصة بالمساجد المرينية بمدينة فاس على وجه التخصيص ، وسيأتي فيما بعد الاستشهاد بهما فيما يتعلق بمبحث : (تخطيط المسجد) بالفصل التحليلي المعماري ، أما الباحث رشيد بو رويبة في مقالة له حول : (الطراز الموحدي ومشتقاته : الحفصي ، المريني ، الزياني والنصري) ، فقد تعرض لذكر ووصف بعض المساجد قيد الدراسة بصورة عامة شديدة الاقتضاب ، وفي ذات الوقت نقلا عن دراسة ماسلوف السابق ذكرها ، ولعله بهذا يتبين مدى شدة الحاجة إلى دراسة أكاديمية معمقة حول الموضوع قيد الدراسة . انظر : عثمان عثمان إسماعيل : تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى . مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، ط1 ، 1993م ، جـ 4 ، (عصر الدولة المرينية ودولة بني وطاس) ، صـ صـ 124 – 125 ، 145 – 146 ، 154 – 155 ، 158 – 162 ، 171 .، محمد السيد أبو رحاب : ملامح تخطيط العمائر الدينية المرينية بالمغرب الأقصى ومدينة تلمسان بالمغرب الأوسط : دراسة آثارية مقارنة . ضمن كتاب (تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني) ، أعمال ملتقى دولي بتلمسان أيام 3 – 5 أكتوبر 2011م ، جـ 1 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجمهورية الجزائرية الشعبية ، صـ صـ 123 – 185 .، نفسه : تصميم العمائر الدينية الحفصية والزيانية والمرينية ببلاد المغرب : دراسة آثارية مقارنة . مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، ظهر المهراز – فاس ، العدد 21 ، السنة 37 ، 2015م ، صـ صـ 258 – 303 .، رشيد بو رويبة : الطراز الموحدي ومشتقاته : الحفصي ، المريني ، الزياني والنصري . ضمن كتاب (الفن العربي الإسلامي) ، جـ2 ، (العمارة) ، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، 1995م ، صـ صـ 221 – 258 .،

Marçais (Georges): L´ Architecture Musulmane d Occident , Tunisie , Algerie , Maroc , Espagne et Sicile . Paris , 1954 , PP 268 , 271 , 277 .

تمهيد :

فيه تناولت بصورة موجزة ومركزة ، الحديث عن مساجد مدينة فاس في العصر المريني ، من خلال مبحثين رئيسيين هما : المسجد والمسجد الجامع ، ظواهر جديدة بالمساجد المرينية ، وقد قدمت لهذين المبحثين بتوطئة عن تاريخ مدينة فاس الحضاري ، منذ التأسيس وحتى العصر المريني ، مع توجيه الأنظار نحو أثر العنصر الأندلسي الوافد على المدينة منذ تأسيسها ، في تطور عمرانها وعمارتها وفنونها .

الباب الأول :

مخصص للحديث عن الدراسة الوصفية للمساجد قيد الدراسة ، وقد قسمته إلى فصلين :

الفصل الأول :

فيه تحدثت عن مساجد مدينة فاس الإدريسية (فاس البالي) ، سواء تلك المساجد الجامعة أو مساجد الفروض ، وقد توفر من هذا النوع الأخير خمسة مساجد ، أما الأول فلم يتوفر سوى الجامع الملحق بالمدرسة البوعنانية .

الفصل الثاني :

تناولت فيه الحديث عن مساجد مدينة فاس المرينية (فاس الجديد) ، التي أسسها المرينيون كمدينة ملكية لهم ، لخدمهم ، وعسكرهم ، وقد توفر فيها مسجدين جامعين ، على قدر كبير من الأهمية ، إضافة إلى أربعة مساجد من مساجد الفروض .

الباب الثاني :

وقد خصصته للدراسة التحليلية المعمارية ، والفنية ، في فصلين كذلك :

الفصل الأول :

تحدثت فيه عن الدراسة التحليلية المعمارية للمساجد قيد الدراسة ، سواء فيما يتعلق بتخطيطها ، وتأصيل أنماطها ، أو فيما يتعلق بالملاحق والعناصر المعمارية المختلفة ، مع تأصيل كل منها كذلك ، وقد قدمت لهذا الفصل بتوطئة موجزة جدا ، عن أهمية دراسة العمارة الإسلامية ، ومحاولة فهم خصائصها ، مضامينها ، وصورها ، من خلال المنظور البيئي ، الاجتماعي ، والديني ، والتي تمثل مجتمعة أقطاب المثلث الذهبي ، الذي يثمر تلك العمارة الفذة المتفردة ، بعيدا في ذلك عن الفهم الاستشراقي لها ، المتحامل عليها دائما في كل وقت وحين .

الفصل الثاني :

فيه تناولت الحديث عن الدراسة التحليلية للجوانب الفنية بالمساجد قيد الدراسة ، ممثلة في كل من العناصر الزخرفية الهندسية ، النباتية ، النقوش الكتابية ، ثم أخيرا بالحديث عن الأثاث الديني ، مع محاولة تأصيل كل منها كذلك ، وقد قدمت لهذا الفصل أيضا بتوطئة مركزة حول أهمية وتغلغل أثر العنصر الأندلسي في العمارة والفنون المغربية ، منذ العصر المرابطي وحتى

العصر المريني ، ذلك العصر الأخير الذي تزايدت فيه الهجرات الأندلسية التي حطت رحالها بحاضرتهم مدينة فاس ، وأثر ذلك على توجه مسار الفن خلال ذلك العصر ، فضلا عن إبراز أثر العلائق الودية التي كانت بين حكام بني مرين بمملكة فاس ، وحكام بني نصر بمملكة غرناطة ، على مآثرهم بالمغرب بصفة عامة ، وحاضرتهم فاس بصفة خاصة .

أنهيت الدراسة بخاتمة ، سجلت فيها ما أمكن التوصل إليه من نتائج أثمرتها ، وذيلت ذلك كله بثبت المصادر والمراجع المعتمدة ، ثم ألحقت هذا المجلد الأول ، بثان هو كتالوج عام للخرائط ، الأشكال ، واللوحات التوضيحية المعتمدة ، يسبقها فهرس عام تعريفي لكل منها .

أهم المصادر والدراسات المعتمدة :

اعتمدت في هذه الدراسة بشكل أساسي على العديد من المصادر والمراجع المختلفة ، ولكن يأتي على قائمة أهم هذه المصادر والدراسات ، ما يعرف بـ (الحوالات الحبسية) [1] ، التي يرادفها بالمشرق ما يعرف بـ (الحجج الوقفية) ، وتكتسي هذه الحوالات أهمية بالغة بما تتوفر عليه من مقيدات حبسية (وقفية) خاصة بمآثر مدينة فاس الدينية ، ومساجدها على وجه الخصوص ، وقد دفع البحث إلى الاطلاع مرتين اثنتين على 22 حوالة مخطوطة ، كلها عن مساجد هذه المدينة بشقيها البالي والجديد ، وهذا رغم ما لاقيته من صعوبات كبيرة أثناء الاطلاع عليها ، لما أصاب الكثير منها من بياض وتآكل ، إضافة إلى رداءة الخطوط المدونة بها ، والتي كانت في غالب الأحوال صعبة القراءة جدا ، فضلا عن التأريخ فيها في كثير من الأحيان بما يعرف بـ (القلم الفاسي) [2] ، إلا أنه رغم هذا كله ، فإن ما تحصل منها يمكن اعتباره من أهم ما أفادت منه الدراسة ، خاصة فيما يتعلق بالتمهيد ، والدراسة الوصفية للمساجد قيد الدراسة .

إضافة إلى هذه المصادر المخطوطة الدفينة ، يأتي دور المصادر التاريخية المطبوعة ، والتي على رأسها كتابي : (الأنيس المطرب) ، (الذخيرة السنية) ، وكلاهما لابن أبي زرع الفاسي [3] ، وقد أفدت منهما كثيرا فيما يتعلق بتاريخ مدينة فاس ، وتاريخ حكامها من ملوك بني مرين ، وهو ما أفدته كذلك من كتاب : (جني زهرة الآس) للجزنائي [4] ، وما دام الأمر يتعلق بعصر بني مرين ، فلابد من الاعتماد بشكل رئيسي على كتابات أحد شهود العيان لذلك العصر ، والذي قدر له أن يكون من خدام هذا البلاط المريني بمدينة فاس ، ألا وهو المؤرخ ذائع الصيت

---

(1) – سيأتي التعريف بها فيما بعد ، صـ 15 ، هامش (2) .

(2) – سيأتي التعريف به فيما بعد ، صـ 15 ، هامش (4) .

(3) – علي ابن أبي زرع الفاسي : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . راجعة : عبد الوهاب بنمنصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط2 ، 1420هـ / 1999م .، نفسه : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية . دار المنصور ، الرباط ، 1972م .

(4) – علي الجزنائي : جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس . راجعه : عبد الوهاب بنمنصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1387هـ / 1967م .